وحُكي [لي][1] أَنَّ الصَّالح [أو ابنه][1] وقف على العُقَيْبة، وقال للزَّرَّاقين: أحرقوها. فضربوها بالنَّار، وكان لرجلٍ عشر بنات، فقال لهن: اخرجن. فقلن: لا والله، النَّار ولا العار، ما نفتضح بين النَّاس. فاحترقت الدَّار وهُنَّ فيها، [فاحترقن][1] ولم يخرجن، وجرت فيها قبائح [وفضائح][1].

وزحف النَّاصر إلى باب توما، وعلَّق النقوب فيه، ولم يبق إلا فتح البلد، ثم تأخَّر إلى أرض برزة، ثم آل الأمر إلى أن أعطى الكامل لأخيه بَعْلَبَك مع بُصْرى، وتسلَّم دمشق، وكان الفلك المسيري قد حبسه الأشرف في حبس الحيات بالقلعة، فأخرجَ، ونُقِلَ الأشرف إلى الكلاسة إلى تربته، وعَبَرَ الكامل إلى القلعة.

يحيى بن هبة الله بن الحسن[2]

أبو البركات، القاضي شمس الدين ابن سني الدَّوْلة.

كان فقيهاً، إماماً، فاضلاً، نَزِهاً، عفيفاً، عادلاً، مُنصفاً، حافظاً لقوانين الشَّريعة، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولي القضاء زماناً بالبيت المقدس، ثم وليه بدمشق مُدَّة، [وكان صاحبي وصديقي، يزورني، ويحضر مجالسي][1]، وكان الأشرف يحبُّه، ويثني عليه [عندي][1]، ويقول: ما ولي دمشق مثله.

توفي يوم الأحد سادس ذي القَعْدة، وصلَّى عليه ولده القاضي صدر الدين بجامع دمشق، وحمل إلى قاسيون، وكانت جنازته عظيمة، وتأسَّف النَّاس عليه. [سمع الحديث من جماعة، منهم أبو عبد الله محمد ابن صدقة الحراني، وكان له إجازة من الصائن أخي الحافظ ابن عساكر][1].

السنة السادسة والثلاثون وست مئة

فيها قَبَضَ الجوادُ على الصَّفي بن مرزوق، وأخذ منه أربع مئة ألف دينار، وحبسه في قلعة حِمْص، فأقام ثلاث سنين لا يرى الضوء. وكان ابنُ مرزوق يقيم بالجواد، ويكتب إليه الجواد: مملوكه يونس.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٤٩١ ـ ٤٩٢، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٤٤-٤٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

وفيها اتَّفق الجواد والصَّالح أيوب على مقايضة دمشق بسنجار وعانة، وسببه ضيقُ عَطَن الجواد، وعَجْزه عن القيام بمملكة الشَّام، وكان يقول [لي][1]: أنا أيش أعمل بملك باز، وكلب أحبُّ إليَّ من المُلْك.

وكان أسدُ الدِّين قد جاء إلى دمشق، فأقام بها، وقُتِلَ عماد الدِّين بن الشيخ في قلعة دمشق، وكان الجواد يُظْهر أَنَّه النَّائب بدمشق عن العادل صاحب مِصْر، فلما قُتِلَ ابنُ الشيخ، وأقام أسد الدين بدمشق خاف الجَوَاد من صاحب مِصْر، وظن أَنَّ صاحب حِمْص يأخذ منه دمشق، فخرج إلى البرية، وكاتَبَ الصَّالح أيوب، واتَّفقا على المقايضة، وعَلِمَ صاحبُ حمص، فتوجَّه إلى حمص، وكان في قلب الصَّالح منه لما جرى بينه وبين الكامل، ودخل الصَّالح دمشق غُرَّة جمادى الأولى، والجَوَادُ بين يديه قد حَمَل الغاشية من تحت القلعة، وحملها المُظَفَّر صاحب حماة من باب الحديد، واتفق أَنَّ سنجق الصَّالح انكسر عند باب القلعة، ونزل الصَّالح في القلعة، والجواد في دار فَرُّخْشاه، ثم نَدِمَ الجوادُ، فاستدعى المقدَّمين والجند، واستحلفهم، وجمع الصَّالح أصحابه عنده في القلعة، وأراد أن يحرق دار فَرُّخْشاه، فدخل ابنُ جرير في الوسط، وأصلحَ الحال، وخرج الجَوَاد إلى النَّيْرب، واجتمع الخَلْق على باب النَّصر يدعون عليه، ويسبُّونه في وجهه، وكان قد سَلَّط عليهم خادماً لبنت كُرْجي يقال له: النَّاصح، فأخذ أموال النَّاس وصادرهم، وعلَّقهم، وضربهم، فيقال: إنَّه أخذ من النَّاس ست مئة ألف دِرْهم، وأرسل الصَّالح أيوب إلى الجواد ليعطي النَّاس أموالهم، فما التفتَ، وسافر، ومات، ولم يعطِ أحداً شيئاً، وبقيت في ذِمَّته.

وأما النَّاصح الخادم، فإنه أقام بحماة، وتوصَّل ـ لما أخذ الصَّالح أيوب مصر ـ إلى مِصْر، وخدم الصَّالح، وكان لما قُتِلَ ابنُ الشيخ عماد الدين قد أخذ الجوادُ ثيابه، وفيها فَرَجية حمراء، فأعطاها للنَّاصح، وعلم معين الدِّين، فقال للصَّالح: هذا النَّاصح الذي فَعَلَ بالنَّاس ما فعل، ومالأ على قَتْلِ أخي ولبس فَرَجيته! فرماه الصَّالح في الجُبِّ، واستأصله، فمات في الجُبِّ على أقبح صورة من [الفقر و][1] القِلَّة والقمل، واستوزر الصَّالحُ جمالَ الدين ابن جرير، فأقام أياماً، ومات.

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

وفي رمضان توجَّه الصالح [أيوب][1] إلى خربة اللصوص على عَزْم ديار مِصْر، وكاتَبَ عمه الصَّالح إسماعيل صاحب بعلبك ليسير إليه، وكان أيوب لما دخل دمشق جاء إليه إسماعيل [من بعلبك][1]، واجتمعا، وتحالفا، وتعاهدا، ورجع إسماعيل إلى بَعْلَبَك، وسار أيوب إلى نابُلُس في شوَّال، فاستولى عليها، وعلى بلاد النَّاصر، وتوجَّه النَّاصر إلى مِصْر إلى العادل، وأقام أيوب بنابُلُس ينتظر وصول عَمِّه إسماعيل [وكان ولده وعسكره عنده، وكتبه واردة إلى نابلس يقول للصالح أيوب: إنني واصل.][1] وكان ناصر الدِّين يغمور مع ابنِ الصَّالح إسماعيل بنابُلُس دائرٌ على الأُمراء والجند يحلِّفهم على أيوب، والدسائس تعمل في دمشق، و[بلغني أن][1] الأموال [كانت][1] تفرَّق في دار النجم ابن سلام، [وحكى لي الصالح أيوب بمصر القضية، وقال: إن فتح الله على يدي دمشق لأفعلن به وأصنع][1]، ومن تكبُّر أيوب [وتجبره][1] لا يتجاسر أحدٌ أن يخبره، [وخرجت السنة على هذا][1].

وفيها توفي

محمود بن أحمد[2]

جمال الدِّين، الحَصِيْري، الشيخ، الإمام، العلامة.

أصله من بُخارى من قريةٍ يقال لها: حَصِير[3]. تفقَّه في بلده، وسمع الحديث [صحيح مسلم وغيره][1] وقدم الشَّام، ودرَّس بالنُّورية، وانتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة، وصنَّف الكُتُبَ الحِسان، وشرح «الجامع الكبير»، وقرأ عليه المعظم «الجامع الكبير» وغيره، [وقرأت عليه «الجامع الصغير» والقدوري، وكتب لي خطه عليهما بالاعتراف لي بفنون العلوم ومعرفة الأحاديث والمذاهب،][1] وكان كثير الصدقات، غزير الدمعة، عاقلاً، نزهاً عفيفاً، [وكان يحضر مجالسي، وحجَّ من الشام][1]، وتوفي يوم الأحد ثامن صفر، ودفن بمقابر الصوفية عند المُنَيْبع، وكان المعظَّم يحترمه ويكرمه، وكذا ولده النَّاصر.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٤٩٩، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٤٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) كذا قال، وهو وهم، وقد نقل عنه المنذري قوله: كان أبي يُعرف بالتاجري، وإنما ببخارى محلة يعمل فيها الحصر، ونحن كُنَّا بها.

عماد الدِّين بن شيخ الشيوخ[١]

قد ذكرنا أَنَّه كان السبب في إعطاء دمشق للجواد، فلما مضى إلى [مصر لامه العادل على ذلك، وتهدده، فقال: أنا أمضي إلى][٢] دمشق، وأنزل في القلعة، وأبعث بالجواد إليك، وإن امتنع أقمتُ نائباً عنك. فسار إلى دمشق وذلك قبل المقايضة، ونزل بقلعة دمشق، وأَمَرَ ونهى، وقال: أنا نائب السُّلْطان، وقال للجواد: تسيرُ إلى مِصْر. وكان أسد الدِّين صاحب حِمْص بدمشق، [قالوا][٢]: فاتَّفق هو والجواد على قَتْلِ ابنِ الشيخ، فاستدعى صاحبُ حِمْص بعضَ نصارى قارة، وأمره بقَتْله، فركب ابنُ الشيخ يوماً من القلعة وقت العَصْر، فوثَبَ عليه النَّصْراني، فضربه بالسَّكاكين حتى قتله، وذلك في جمادى الأولى.

ودخل الصَّالح أيوب دمشق في جمادى الآخرة، وحَبَسَ النَّصراني أياماً ثم أطلق.

[قلت: وأسد الدين لما قُتل ابنُ الشيخ كان في حمص، وإنَّما شنَّعوا عليه][٢].

وذكر سَعْد الدِّين مسعود بن تاج الدين شيخ الشيوخ ابن عم عماد الدين، وهو كان حاضر القضية، قال: خرجنا من القاهرة في ربيع الأول [٣][وذكر أن عماد الدين لما توجه ودعه إخوته، فقال له أخوه] فخر الدين: ما أرى رواحك مصلحة، وربما آذاك ابنُ ممدود. فقال: أنا ملَّكْتُه دمشق، فكيف يخالفني؟ فقال: صدقتَ، أنت فارقته أميراً، وتعود إليه وقد صار سُلْطاناً، فتطلب منه تسليم دمشق، وتعوضه الإسكندرية، ويقيم عندكم، فكيف تسمح نفسه بهذا؟ وإذا أبيت، فانزلْ على طبرية، وكاتِبْه، فإنْ أجابَ وإلا فتقيم مكانك، وتعرِّف العادل. فلم يلتفت، وسار إلى دمشق. [قال سعد الدِّين][٢]: فنزل المصلَّى، وجاء الجواد للقائه، قال سعد الدين: وكنتُ أفتح شيش علم الدِّين، فأخذه الجَوَاد، وقال: هذا شيءٌ يلزمني خِدْمة المولى عماد الدين، لأَنَّه

---

(١) هو عمر بن صدر الدين شيخ الشيوخ محمد بن عمر ابن حموية، له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٥٠٦ـ٥٠٧، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٤٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) في (ح): وودع عماد الدين إخوته، فقال له فخر الدين...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

جعلني من النَّاس، وملَّكني دمشق. وسار معنا، فأنزل عماد الدين في القلعة بدار المَسَرَّة، وعاد أسد الدين [صاحب حمص][1] إلى دمشق، وبعث الجواد لعماد الدِّين الذهب [والخلع][1] والخيل[2] والقُماش، [قال سعد الدين][1]: وما وصلني من مطرها رِشاش مع ملازمتي لعماد الدِّين لمرضه، فإنَّه ما خرج من القاهرة إلا في مِحَفَّة، فكنت كما قيل: [من البسيط]

إنْ يطبخوا يوسعونا من دخانهمُ ... وليس يبلغنا ما تنضج النَّارُ

وكان عماد الدِّين قد فرَّق الخِلَع في أصحابه، ولما تحقق الجواد أنَّ رسالةَ عماد الدين أَنْ يخرج من دمشق، ويعوَّض عنها إسكندرية، رَسَمَ عليه في الدَّار، ومنعه من الرُّكوب، وجاء إلى عماد الدين، وقال: إذا أخذتم مني دمشق، وأعطيتموني الإسكندرية، فلا بُدَّ ما يكون لكم بدمشق نائب، فاحسبوني ذلك النَّائب، وإلا فقد بَعَثَ إليَّ الصَّالح [نجم الدين][1] أيوب أُسَلِّم إليه دمشق، وآخذ منه سِنْجار. فقال له ابنُ الشيخ: إذا فعلتَ هذا أصلحتَ بين الصَّالح والعادل، وتبقى أنتَ بغير شيء. فقام، وخَرَجَ مُغْضَباً، وحكى [الجواد][1] لأسد الدِّين ما جرى [بينهما][1]. فقال: والله لئن اتَّفق الصَّالح والعادل ليتركونا نشحذ في المخالي. وجاء أسدُ الدِّين إلى ابنِ الشيخ، وقال له: المصلحة أن تكتب إلى العادل، وتستنزله عن هذا. فقال ابنُ الشيخ: حتى أروح إلى برزة، وأُصلي صلاة الاستخارة. فقال له أسد الدين: تريد أن تروح إلى برزة، وتهرب إلى بَعْلَبَك. فغضب، وانفصلا على هذا، ودَسَّ الجوادُ إلى عماد الدِّين ابنَ قاضي بَعْلَبَك ليسقيه سُمًّا، فلم يفعل، وكان ابن الشيخ مريضاً، فاتّفقوا على قَتْله، وتوجَّه أسدُ الدِّين إلى حِمْص، فلما كان يوم الثلاثاء سادس وعشرين ربيع الأول بَعَثَ الجواد إلى عماد الدِّين يقول: إنْ شِئْتَ أَنْ تركب وتتنزَّه، فاركبْ إلى ظاهر البلد. فاعتقد أَنَّ ذلك بوادر رضى، فلبس فَرَجية كان الجَوَاد بَعَثَ إليه بها، وشدُّوا له حِصاناً بَعَثَ به إليه، فلما خَرَجَ من باب الدَّار قابله [واحد][1] واقف، وبيده قِصَّة، فاستغاثَ،

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) هنا خرم في نسخة (ح) يأتي على سائر الكتاب، وثمة قطعة برقم (٢١٣٨) تبدأ من سنة (٦٢٠هـ)، وتنتهي مع نهاية الكتاب، عليها اعتمدت في تحقيق ما بقي منه، ورمزتُ لها بالحرف (ت).

فأراد حاجبه أن يأخذها منه، فقال: لي مع الصَّاحب شغل. فقال عماد الدين: دعوه. فتقدَّم إليه، وناوله القِصَّة، وضربه بسكِّين على خاصرته بَدَّد مصارينه، وجاء آخر، فضربه بسكِّين على ظهره، فمات، فردُّوه إلى الدَّار ميتاً، وبعث الجواد، فأخذ جميع ماله وخَيْله ومماليكه، وكَتَبَ محضراً أَنَّه ما مالأَ على قَتْله، فامتنع مماليكُ عماد الدِّين من خِدْمة الجواد، وقالوا: أنتَ تدَّعي أنك ما قتلته، وهذا له إخوة وَوَرَثَة، فبأيِّ طريق تأخذ ماله؟ فحبسهم. قال سعد الدين: وبَعَثَ الجواد إلى والدي [تاج الدين][1]، وقال: اطلع، فَجهِّزْ ابنَ أخيك. فجهزناه، وأخرجناه، وكانت له جِنازةٌ عظيمة، لأَنَّه قُتِلَ مظلوماً، وحملناه إلى قاسيون، فدفناه في زاوية الشيخ سَعْد الدِّين، وخيَّمْنا جراحاته، [وصلى عليه سعد الدين ابن عمه][1]. وقال سعد الدين [بن تاج الدين][1]: ورثيته [ببيتين][1]، فقلتُ: [من الوافر]

فبعدكَ لا رَقَتْ عبراتُ عينٍ ... بأحزانٍ ولا سَكَنَ الغرامُ
ولا هَدَأَتْ جوانحنا قليلاً ... على فقدان مثلك والسَّلامُ

[قال][1]: وكان له يوم مات ستّ وخمسون سنة، وكان قد كَتَبَ على تقويم: [من الطويل]

إذا كان حُكْمُ النَّجْمِ لاشكَّ واقعاً ... فما سَعْيُنا في دَفْعه بنجيحِ
وإنْ كان بالتَّدْبير يمكن رَدُّه ... عَلِمْنا بأَنَّ الكُلَّ غيرُ صحيحِ

جمال الدِّين بن جرير، وزير الأشرف[2]

أصله من الرَّقَّة، [وكان يتردَّد إليَّ في خانكاه الرقة في سنة اثنتي عشرة أو ثلاث عشرة وست مئة،][1] وكان له بُسْتان، ومُلْك يسيرٌ يعيش منه، ولم يكن يعرف الأشرف حينئذٍ، فما زال يتوصَّل إليه حتى استوزره بدمشق، ولما مات الأشرف استوزره أيوب أياماً قلائل دون الشهر، وكانت وفاته يوم الجمعة سابع وعشرين جمادى الآخرة بالخوانيق، ودفن بمقابر الصُّوفية عند المُنَيْبع، وكان يتردَّد إلى زيارة الصَّالحين، وفيه

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) هو علي بن جرير الرَّقِّي، وله ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٥١٠، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٤٨، و«تاريخ الإسلام» للذهبي: (وفيات سنة ٦٣٦هـ).

يقول نَصْر بن محمد الحنفي: [من الكامل]

مَنْ قال أهل الشَّام قومٌ كلُّهمْ بَقَرٌ فليسَ عليه فيه جُناحُ
لو لم يصحَّ مقالُهم فيه لما أضحى يسوسُ أمورَهُمْ فلاَّحُ

[قلت: ما كان ابن جرير فلاحاً، وعامة الوزراء كانوا فلاحين مثل ابن هبيرة وغيره][1].

أبو عبد الله، البِرْزالي، المحدِّث[2]

توفي بحماة رابع وعشرين رمضان، ودُفِنَ بها.

السَّنة السَّابعة والثَّلاثون وست مئة

فيها هَجَمَ الصَّالح إسماعيل دمشق، ومعه أسد الدين صاحب حمص يوم الثّلاثاء سابع وعشرين صفر، وكان الصَّالح أيوب مقيماً بنابلس، وإسماعيل ببَعْلَبَك يكاتبه، ويَعِدُه أَنَّه واصل إلى خِدْمته، وكان أسدُ الدِّين قد جاء إلى الزراعة، واجتمع بإسماعيل، واتَّفقا على أيوب، وأن تكون البلاد بينهما مناصفة، وكان ابن إسماعيل وابن يغمور بنابُلُس كما ذكرنا، وكان عِزُّ الدِّين أيبك مقيماً بصَرْخد، لم ينزل إلى خدمة أيوب، واتَّفق مع إسماعيل على أيوب، وكتب إسماعيل [إلى أيوب][1] يطلب ولده ليصل إليه، ويقيم عوضه ببعلبك. فبعَثَ إليه به، وكل هذا وأم عامر نائمة، وكان ذلك بترتيب [السَّامري][1] أبي الحسن ابن غزال المتطبّب؛ وزير إسماعيل، وكان الصَّالح أيوب قد سيَّر سعدَ الدِّين الحكيم من نابُلُس، ومعه الطُّيور إلى بَعْلَبَك يعرِّفه أخبار الصَّالح إسماعيل كل وقت ومسيره، فكان سعد الدين يكتُبُ الكُتُبَ، ويربطها على جناح الطَّيْر، فيسرق ابن غزال الطَّيْر، ويكتُبُ إلى أيوب بما يريد، فاطمأنَّ إليهم، [وما كان عنده دهاء،][1] وكان سليم الصَّدْر، وإسماعيل يبعث الدَّراهم والخِلَع إلى دار ابنِ سلام ـ على ما قالوا ـ تفرَّق في المقدَّمين، وخرج إسماعيل من بَعْلَبَك بالفارس

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) هو أبو عبد الله، محمد بن يوسف، وله ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٥١٤ ـ ٥١٥، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٤٨-٤٩، وفيه تتمة مصادر ترجمته.